

الأصل الاجتماعي للمقاول والمقاولاتية

Origine sociale de l'entrepreneur et l'entrepreneuriat

كلية العلوم الاجتماعية / جامعة وهران 2	علم الاجتماع	حساين زاهية Hassaine Zahia Zahia.hassaine@hotmail.fr
DOI: 10.46315/1714-012-002-019.		

الإرسال: 2022/09/30 القبول: 2023/01/08 النشر: 2023/06/16

الملخص:

المقال يعالج إشكالية الأصل الاجتماعي لحقل المقاولاتية فهو فعل إنساني محض ينجزه الفرد، ما يؤهله ليكون بامتياز حقلًا سوسيولوجيًا فالمقاولاتية تفسر حتمًا في ضوء العوامل الاجتماعية التي أنتجتها، فلا يمكن أن يكون لدينا مقاولين منشئين بالولادة مما يفرض الاعتراف بأسبقية العنصر الإنساني المحدد لهوية هذا الفرع، فالمقاول هو إنسان وله سياق اجتماعي ينشئه ويغترف من منظومته القيمية؟
المقال يتضمن ثلاث محاور: الاتجاه الكلاسيكي. فحص نقدي للاتجاه السوسيولوجي المعاصر. تعقيب ملخص للنتائج النظرية.

كلمات مفتاحية: المقاولاتية؛ المقاول؛ علم الاجتماع المقاولاتية؛ الأصل الاجتماعي.

Abstract: (English)

The article deals with the issue of the social origin of the entrepreneurial field. It is a human activity carried out by an individual that qualifies it to be a sociological field. Entrepreneurship can only be interpreted within the framework of the social factors that have determined it, we cannot have entrepreneurs who create businesses by birth, which imposes the recognition of the determinism of the social factor as an element determining the identity of this branch, the entrepreneur is a human and has a social context that he has socialized, allowing him to feed on his system of values.

Keywords: Entrepreneurship; Entrepreneur; Sociology of entrepreneurship; Social origin.

*- مقدمة:

المقاولاتية فعل إنساني محض ينجزه الفرد، الإنسان وتحدده محددات اجتماعية تتفاعل مع عوامل أخرى من طبيعة مختلفة ما يؤهله ليكون بامتياز حقلًا من حقول السوسيولوجيا فهي تعد ميدان خصب من الميادين التطبيقية والتجريبية للسوسيولوجيا التي لا يمكن أن تفسر إلا في ضوء العوامل الاجتماعية التي أنتجتها، فهي تقود وتحمل الأفراد علي إنشاء المؤسسات والتورط في عالم المال والأعمال، فلا يمكن أن يكون لدينا مقاولين بالولادة يحملون جينات وراثية لأن البناء الاجتماعي له دور أساسي إن لم نقل حتمي لما يمكن أن يمارسه من

تأثير علي الفرد مما يعطينا تفسير منطقي للاختلافات الواضحة في معدلات إنشاء المؤسسات وتعداد المقاولين وارتفاعها بين المجتمعات. وما الانفجار الذي عرفه تعداد "م.ص.م.خ" مؤخرا في الجزائر في إطار المرحلة الانتقالية الي اقتصاد السوق إلا تأكيداً لحتمية الاجتماعي وما يمكن أن ينطوي عليه من عناصر انفتاح نحو التوجه المقاولاتي بالمقارنة مع المرحلة السابقة المرتبطة بالاقتصاد الموجه وما تضمنته من عوامل معرقة وكابحة حدت من نمو الظاهرة (زاهية، 2013). مما يشير الي ضرورة الاعتراف بأسيقية العنصر الإنساني والاجتماعي المحدد لهوية هذا الفرع العلمي المنتهي أصلاً للعلوم الإنسانية والاجتماعية، فالمقاول هو قبل كل شيء إنسان وله معاش وسياق اجتماعي ينشئه ويغذيه ويغترف من منظومة القيمة والثقافية؟

الإشكالية:

تعالج الأصل الاجتماعي للمقاولاتية ونعتمد مبدأ الصيرورة فهي تركز علي من صنع وولد المقاول والمقاولاتية؛ فكل مقاول منشئ للمؤسسة لم يكن كذلك في السابق ولم يكن قد اكتسب مثل هذه المكانة أي نسعي إلى المهرنة نظريا علي الأصل الاجتماعي للمقاولاتية وفحص مكوناته وطبيعة محدداته التي صنعت وولدت المقاول والمقاولاتية، فنحن نعتنق الانطلاقة المبكرة للصيرورة قبل فعل الإنشاء، تحدث بمجرد أن يعي المبحوث بوجود سبل "مقاولاتية" تتولد لديه أصلاً من الأوساط التي تشكل معاشه سواء ارتبطت بالوسط العائلي، المهني، التربوي والتعليمي وحتى التنقلات الجغرافية الممكنة، ...الخ. وتصب في اتجاه ما يسمي "باليقظة المقاولاتية" لأن الفرد منطقياً يدخل في "صيرورة مقاولاتية" عندما يتولد لديه الميل التي يدفعه باتجاه "الفعل" وعندما "يفعل" هو ينشئ مؤسسته ويقوم بذلك في إطار "منطق محرك" يتضمن الماضي والحاضر وحتى المستقبل أي يتضمن مسارات سابقة مرتبطة بالماضي أي "قبل أن يصبح أو يصير مقاولاً منشئاً" أثرت في سلوكياته وتصرفاته وحملته على "فعله" المقاولاتي. حيث نعتقد في ثلاثية المراحل الزمنية المكونة للصيرورة المقاولاتية : ما قبل الإنشاء المقاولاتي وأثناء الإنشاء المقاولاتي وما بعد الإنشاء المقاولاتي.

التحليل :

الاتجاه النظري السوسيولوجي الكلاسيكي والمعاصر والبرهنة على حتمية الأصل الاجتماعي للمقاولاتية.

كلاسيكياً نجد "ماكس فيبر" الكلاسيكي الذي ينشغل بدور الأخلاق البروتستنتية ومدي تشجيعها للمشاريع المقاولاتية ويعتبرها شرط حتي لتكون الروح الرأسمالية (Philippe

(Besnard, 1970, p. 11)، فالتوجيه القيمي للبروتستنتية هو الذي حتم صياغة وتكون هذه الروح من خلال دفع "المؤمنين" إلى الانفتاح على المشاريع الخاصة وتشجيع الأنشطة المقاولاتية (القول، 1982، صفحة 115) وضرورة سيادة الأسلوب العقلاني والبيروقراطي في مختلف المستويات التنظيمية للبناء الاجتماعي، ونجح إلى حد بعيد في توضيح التأثير الفعلي والقوي للأخلاق البروتستنتية في بزوغ وتكون الروح الرأسمالية عند الغرب.

وأبرز الأفكار التي انبني عليها الطرح الفيبري : "الكالفن" أفضى إلى اتخاذ منهج عقلاني وروحاني ينطوي على القدسية والتخصص، فالله عنده يمثل قوة عليا تتصف بالمطلق وتعلو كل شيء، وقيمة الإنسان إنما هي مرتبطة بالقدر الذي خلق من أجله لعبادته وتقديسه وإظهار عظمته وجلالته و"لا يجب عليه أن يفشل وإلا فهو لا يستحق الحياة إطلاقاً" (Rocher, 1968)، لأن الأمر محكوم بقيم أخلاقية مرتبطة بالزهد تسير مملكة الخالق على وجه الأرض للحصول على ما أطلق عليه بـ "جنة الفردوس"، طبعا "الكالفن" كان يطمح إلى تحقيق عالم خيالي خالي من معاني البؤس والشقاء والتعاسة واللهث وراء الماديات وربما يعتبر من القلائل الذين سعوا إلى التهذيب الاقتصادي للمجتمع الصناعي القائم على العقلانية والتخصص والفردانية، ولهذا تبقي العقيدة الكالفينية تمثل القوة الروحية والعامل الثقافي المفسر للروح الرأسمالية التي عرفها الغرب والتي اتسمت بالقوة والاندفاع الفريد من نوعه ولعبت دور المنشط والمحرك للتطور الاقتصادي الحديث، فهذه العقيدة بمنطقها الخاص وبردود الأفعال النفسية الناتجة عنها وآثارها على الأفراد خلفت أخلاق فردية اقتصادية ملائمة لسلوكيات من النمط الرأسمالي عرفت بالأخلاق البروتستنتية. وانطلاقاً من هنا جاءت البدايات الأولى المشجعة للأنشطة الخاصة والمشاريع المقاولاتية المولدة للثروة والمستحدثة لمناصب شغل والمنفتحة بقوة على الاستثمار الخاص حيث اضفت عليها طابع الشرعية الدينية في بلوغ الأهداف السامية.

إذن طرحه يتمحور حول حتمية القيم الدينية وبالضبط الأخلاق البروتستنتية المستوحاة من "الكالفنية" (Bernoux, 1985, pp. 39- 40) في انبثاق الروح الرأسمالية، فهذه الأخلاق وجدها تتجسد في سلوكيات التقشف والبحث عن النجاة والخلاص من خلال تحقيق النجاح الاجتماعي، والروح الرأسمالية بالنسبة إليه عقلنة وليست فقط البحث عن الربح والثروة والرفاهية مرتبطة بالقدر "الكالفيني الموسوم بـ"الزهد الأخلاقي" الذي يتضمن عدة التزامات مفروضة على "المؤمن" (Weber, 1964, p. 33)، أولها "العمل" وكيفية تأديته، فكل الصفات المرتبطة بالكسل والبطالة والفراغ والمماطلة تعتبر من أكبر المحارم ومن يمثل

هذه الفئة فإنه يرفض المشاركة في تشييد مملكة الله ومغضوب عليه إلى يوم الدين. والعمل يجب أن يكون متقنا ومنتجا ومتواصلا وأن يصلح لأهداف مفيدة للبشر وبالتالي "الكالفن" لم يظهر العمل على أنه ضرر أو عقاب بل كان يمثل بالنسبة إليه التعاون الإيجابي والضروري للإنسان من أجل إجلاء مجد الله وعظمته. ثانياً التقشف والابتعاد عن البذخ، فالمؤمن الوفي والصادق يتميز بالجدية ويسلك حياة التقشف والصرامة حيث يتوجب عليه تحاشي الصفات السلبية مثل الترف والبذخ، الإسراف والتبذير والبخل، لا مصاريف ولا اكتناز أو ادخار بل يجب توظيف الأموال والثروات في أنشطة جديدة ومشاريع مقاولاتية منتجة وكفيلة باستحداث مناصب شغل للبطالين، فالإنسان ما هو إلا حارسا علي هذه الأموال والمطلوب منه استثمارها ومضاعفتها بما تسمح به قدراته وهنا دعوة صريحة للاستثمار الخاص من أجل إنشاء المشاريع المقاولاتية المذرة للأرباح والمحدثة لمناصب الشغل ثالثاً "العلم" خاصة العلم التجريبي الذي يمثل أنجح طريقة للتعريف بخلق الخالق وإظهار إعجازه في هذا الكون، . وكل هذا يبين مدي الانفتاح على ضرورة خلق المشاريع الخاصة والمقاولاتية كشرط حتمي لتكون الروح الرأسمالية .

الاتجاه السوسيولوجي المعاصر

أولاً نحاول تحديد موقع المقاولاتية في الحقل السوسيولوجي التي تأخذ مكانها وتستمد قوتها من النقاش الخاص بسوسيولوجية المؤسسة حيث لا يمكن أن يتم أي نقاش حول المقاولاتية خارج حدود "سوسيولوجية المؤسسة" التي تعتبر امتدادا طبيعيا لسوسيولوجية المنظمات وقبلها سوسيولوجية العمل الفتية التي تعود إلى بداية الثلاثينات والتي جاءت نتيجة التقدم التقني وما أفرزه التركيز الصناعي المبالغ في عقلنته من مشاكل عويصة صعدت من النزاعات والصراعات والاحتجاجات في العمل. هذا التطور الذي يتصف بالتتابع منه بالتوازي . والاتجاه النظري السائد يؤكد علي المرحلة الجينية (Régis, 2004, p. 30) لـ "سوسيولوجية المقاولاتية" فهي لازالت في طور التكون ولا تتعدي كونها ميدان تطبيقي آخر للسوسيولوجيا، بدأ في الظهور عندما عجزت السوسيولوجيات التي سبقتها مثل سوسيولوجيا العمل وسوسيولوجيا المنظمات وسوسيولوجية المؤسسات الاستجابة لمتطلبات الواقع كحقل جديد والذي ولد أصلا نتيجة النقائص التي تضمنتها هذه السوسيولوجيات والتي تركت فراغا نظريا حول المؤسسات والبحث في أصولها وتطورها وعلاقتها مع المجتمع وهنا نستحضر "غونو ساسوليو" (Renault, 1990) عندما يصر على "ضرورة التحليل السوسيولوجي للمؤسسة كموضوع خاص وميدان ملاحظة فرض نفسه شيئا فشيئا على العديد من السوسيولوجيين"

واتصف بالثراء الاستثنائي فجاءت العديد من مؤلفاته الأولى عن "سوسيولوجية المؤسسة" أشهرها كتابه عن المؤسسة التي اعتبرها "مسألة اجتماعية".

ويدعم هذا المنحى أغلب السوسيولوجيين الذين يعترفون بتأخرهم في تبني المقاولاتية كأحد الميادين التطبيقية للسوسيولوجيا بالمقارنة مع العلوم الأخرى، ف"ريجي مورو" يعتبر "المقاولاتية" موضوعاً منسياً من طرف السوسيولوجيات الفرنسية وهي لم تشبع إلا حديثاً نظراً لما عايشه المجتمع الفرنسي من تغيرات مست المؤسسات خلال الأزمة الاقتصادية التي عرفتتها وما نتج عنها من قلق اجتماعي حمل السوسيولوجيين على تجاوز السوسيولوجيات السابقة المطبقة في العمل من أجل الاهتمام أكثر بالعلاقات الموجودة بين المؤسسة والمجتمع. وهو يصف "السوسيولوجيا المقاولاتية الفرنسية" بالمحدودة والغير معروفة فأغلبية الإنتاج العلمي حول الموضوع هو من أصل أمريكي فالولايات المتحدة الأمريكية تتصف بالقوة من حيث الأبحاث التي تنشغل بهذا الحقل فهي تعتبره منذ أمد طويل حلاً بنيوياً لمشاكلها بالمقارنة مع فرنسا التي لم تتفطن سوى مؤخراً وهذا ما يفسر تأخرها الكبير في هذا المجال. و عموماً نفضل أن نورد عليكم جدولاً أكثر توضيحاً لمثل هذه المعالجات لـ "مورو" الذي استوحاه من أبحاث "ألتر" يلخص فيه أبرز الأبحاث التي أجريت في سياق السوسيولوجيات التطبيقية وموقع المقاولاتية منها.

الجدول رقم 01: مقارنة إجمالية للسوسيولوجيات التطبيقية وموقع المقاولاتية منها،

علم اجتماع العمل	علم اجتماع المنظمات	علم اجتماع المؤسسات	
الفترة المرجعية	مسيطرة حتى سنوات 1970	مسيطرة ابتداء من سنوات 1970	في تطور منذ سنوات 1990
المواضيع	المهمة. / مشاكل العمل التأليورية. / آثار المحيط	دور الفاعلين / - أنظمة العلاقات رهانات السلطة. / البيروقراطية عقلانية الفعل	الثقافة الهويات الفردية والجماعية العلاقة بين المؤسسة والمجتمع
فضاء المرجعية	الورشة المجتمع الصناعي	أنظمة الفعل الملموسة	العوامل الاجتماعية
مصطلحات مفتاح	العمليات. / الطبقة الإنتاجية. / الاستقلالية	الفاعلين. / إستراتيجية الفاعل مناطق الشك. / نظام الفعل الملموس. / السلطة	الهوية. / الثقافة الإستراتيجية الصناعية
الفاعلين المركزيين	الطبقة العاملة. / النقابات أرباب العمل	خبراء. / مديرين نقابيين	المقاولين. / المديرين مجموعة الفاعلين
النظرة حول المؤسسة	غياب أي تحليل يهتم بالمؤسسة كمؤسسة فهي كانت تعتبر كمكان لإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية المهيمنة.	المؤسسة هي منظمة كغيرها أو وفي أفضل الحالات مع وجود بعض الخصوصيات.	المؤسسة هي موضوع خاص لعلم الاجتماع، تلعب دور المؤسسة الاجتماعية.
المؤلفين الممثلين للمرجعية	"فريدمان" (1962/ 1964) "نافيل" (1961). "نوران" (1965)	"كروزي" (1963) "كروزي" و "فريدبرغ" (1977)	"سانسوليو" و "سغريستان" (1986) "سانسوليو" (1987/ 1990) "سغريستان" (1992)

المصدر: (Régis, 2004, p. 37)

يقيم مقارنة إجمالية لطبيعة الأبحاث السوسيولوجية التطبيقية لعالم العمل والمنظمات والمؤسسات ويحدد موقع كل منها مع باقي الفضاءات الانتاجية ويحاول الفصل بينها إلا أن الأمر ليس بهذه السهولة فالتعقيد والتشابك يبقى يميز هذه الحقول بامتياز فالأمر لا يعدو عن كونه يعبر عن الامتداد الذي اتخذته علم اجتماع العمل في التطور، مرتقيا بالتدرج والتتابع من العمل إلى المنظمات، إلى المؤسسات وكان بودنا أن يضمن "ريجي مورو" خانة مخصصة لعلم اجتماع المقاولاتية إلا أنه لم يفعل ذلك واكتفى بالإشارة إلى حجم الأعمال المعالجة للمقاولاتية والتي أدرجها ضمن إطار علم الاجتماع المؤسسات ونعتقد أن السبب راجع إلى كون المقاولاتية لم ترتقي بعد إلى تحقيق الكيان المستقل بها فهي لازالت في طور التكون والمرحلة الجنينية مما يحتم عليها الانطواء تحت جناح أو مظلة علم اجتماع المؤسسات وأي نقاش حوله لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يخرج عن سياقه.

ومع ذلك فإن "ريجي مورو" ومن يسير في فلكه يقرون بأهمية بالتنوع والثراء الذي عرفه الحقل المقاولاتي المعبر عنه سوسيولوجيا، ولا ينكرون التأثير الذي مارسه مختلف الدراسات والبحوث ذات الأصول العلمية الأكاديمية الأخرى مثل الاقتصاد، التسيير، علم النفس... الخ على الميدان السوسيولوجي المقاولاتي والذي أثرته بقوة ولهذا تجد اتجاهاته النظرية لا تخرج كثيرا عن الأدبيات العامة التي اغترف منها بشكل أو بآخر والذي استعار منها العديد من الأدوات والإجراءات المنهجية، والتي نجدها قد عرفت ثلاث نماذج بارزة من المقاربات خاصة منها الصيروراتية.

التقدم الذي أحرزه الاتجاه النظري العام المهتم بالظاهرة يبقى متميزا وباهرا خاصة ما عولج في العشرينات الثلاث الأخيرة حيث تم تصنيف النماذج أو المقاربات المنهجية المحللة للظاهرة وتم تدقيق وتنقية مصطلح المقاول والمقاولاتية من الشوائب والغموض وقد ساهم عدة باحثين في جمع المقاربات وقسموها إلى ثلاث نماذج إلا أن هذا الاتجاه التصنيفي نجده مجسدا بوضوح علي مستوى أعمال "ريجي مورو" الذي قدم لنا ملخصا لمجموع الأبحاث والدراسات التي انشغلت بالمقاولاتية ليس فقط في سياق علم الاجتماع وعلم النفس وعلم السلوكيات وإنما أيضا العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ونورد عليكم ذلك من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 02 : ملخص الأبحاث حول المقاولاتية في العلوم الاقتصادية والإنسانية والتسيير

السياق: أثار وشروط المقاولاتية	الفاعل: المقاول	الفعل: صيرورة الإنشاء	
المرحلة	منذ بداية سنوات 50	منذ بداية سنوات 90	أسئلة مفتاح
ما السياقات الأكثر تلاعاً للمقاولاتية وبالعكس غير ملائمة؟ ما الدور أو الوظيفة الاقتصادية للمقاول؟ ما المجتمعات الأكثر قابلية للمقاول؟	من هو المقاول؟ ما الذي يميز المقاول عن باقي المواطنين؟ ما هي الحوافز؟ ولماذا نصبح مقاول؟ لماذا يفشل أو ينجح؟	ما صيرورة إنشاء مؤسسة؟ ما المهام المطلوب القيام بها؟ ما الأفعال التي يمكن أن تفشل أو تنجح صيرورة الإنشاء؟	
مواضيع الدراسة	الوظائف السوسيو-اقتصادية للمقاول العناصر السوسيو-اقتصادية "المنتجة" أو المدعمة للمقاولاتية؟ التنمية الجهوية والسياسات الحكومية	سمات الشخصية، الخصائص البسيكولوجية والسوسولوجية للمقاول وسط المقاول	صيرورة إنشاء نشاط جديد الأفعال التي تمت من أجل هذا الهدف: نشاطات التسيير، تطبيقات الأعمال... الخ
المنهجيات	كمية	كمية وكيفية	كمية وكيفية
الفروع الأساسية للقاعدة	الاقتصاد علم الاجتماع الأنثروبولوجيا	علم الاجتماع علم النفس علوم السلوكيات	علوم التسيير نظريات المنظمات علوم الفعل
المؤلفين الكلاسيكيين للمرجعية	"كوتيلون"(1755)/"ساي" (1930)"فيبر"(1967 / 1971)"/"شومبيتر" (1935)	"ماكيلاند"(1971) "كيت دوقريس" (1985)	"غارتنير" (1985 / 1988) "غارتنير" و"كانز" (1985)

المصدر: (Régis, 2004, p. 164)

يسطر "ريجي مورو" لنا ثلاث مراحل زمنية كبرى من تطور الأبحاث والدراسات المنتمة إلى العلوم الاقتصادية والانسانية والتسيير المعالجة للظاهرة المقاولاتية والتي صنفها إلى ثلاث أنواع من المنظورات أو المقاربات: السياق والتي يراها أنها تقتزن بـ 200 سنة الأخيرة ومقاربة المقاول التي انطلقت مع بداية الخمسينات وأخيرا مقاربة الصيرورة والتي ربطها ببداية سنوات 90 وهو يحرص على ترتيب وتصنيف هذه الزوايا الثلاث حسب مؤشرات محددة مثل الأسئلة المفتاحية ومواضيع الدراسة والمنهجيات المستخدمة والفروع العلمية المهمة والمرجعية النظرية الممثلة لها والمميزة لكل مرحلة.

و علي العموم هو يعتمد نموذج الصيرورة ويقترح مقاربة متجددة عندما يحكم على النموذجين المقاول والسياق بالقصور والعجز وعدم امتلاكهما التفسير الكامل للواقع المقاولاتي فكل منهما لا يحمل سوى جزء من الحل ولهذا لا يمكن لهما وهما منفردان ومصران علي إقصاء بعضهما البعض أن يتمكننا من إعطاء الحل الملائم والشامل ومعرفة سر أصول ميلاد وانبثاق المؤسسات الجديدة ولهذا فإن التصور الصيروراتي يتخطى بمنظوره الكلياني أي تناقض كلاسيكي أفرزته النقاشات السوسولوجية للنموذجين السابقين لإنشاء المؤسسة هو "فعل اجتماعي وجماعي يجمع عدة محركين ويتم على نمط الصيرورة" دون إقصاء عنصر

الزمن والتغير في تقديم التفسيرات الممكنة حول الحدث المقاولاتي فأغلب الحالات المنشأة للمؤسسات والملاحظة اليوم لم تكن موجودة في السابق ولن تكون في الغد لماذا ؟ لأن سمة التغير واللا- ثبات من خصائص الظاهرة الإنسانية التي لا تستقر على حال وتظهر بوجوه متعددة وهي في تطور مستمر مما يجعل الظاهرة المقاولاتية ظاهرة إنسانية بامتياز علي حد تعبيره.

"أن جيلي" (Anne, 2003, p. 98): تقترح تفسيرات متعددة للصيرورات المقاولاتية سواء ارتبطت بالنظريات الكلاسيكية أو المعاصرة، وتقر بحتمية الأصل الاجتماعي في صنع المقاولاتية وتعتمد نموذج الصيرورة في أبحاثها معتبرة المقاول "فاعل أساسي والمقاولاتية إستراتيجية ديناميكية وحيوية للمؤسسة واقتصاد السوق والمقاول والمقاولاتية يمثلان وجهان لنفس الواقع في المجتمعات المتطورة اقتصاديا" وهي تنتقد النظريات الاقتصادية التي تجاهلت المقاول وأهملت دور الروح وأدوار الجماعات الاجتماعية في انبثاق التوجه المقاولاتي.

و هي تركز على ديناميكية إنشاء "م.ص.م" فهي تعتبر المقاول فاعل اجتماعي ديناميكي محرك لفعله ومنميه وتؤكد أن المجتمع والمؤسسة والمقاول إنما يتأثرون ويتفاعلون ويكونون نظاما من نمط خاص ذات طبيعة صيرورتية تنبثق حتما " من ديناميكية خاصة ووحيدة مرتبطة ببعض الخصائص الاقتصادية والاجتماعية المنحدرة من المجتمع وفي نفس الوقت بخصوصيات المظاهر السوسيو. مهنية للمقاولين" لهذا نجدها تؤكد أن "الصفة المقاولاتية هي التي تؤهل ما هو مرتبط بالمقاول .

"في منقعات" (Régis, 2004) يفضل اعتماد نمط الصيرورة ويقترح اتجاه خاص للظاهرة يتضمن أربع مفاهيم أساسية يصف بها المقاولاتية أولا المقاول هو الفاعل الاجتماعي العقدي الذي يقود الابتكار بكل معانيه ولا يمكن أن يحدث ذلك بدون وجوده أو قيادته فهو يرتقي إلى مستوى القاعدة الديناميكية التي تنطلق منها كل تنمية مما يحتم التركيز على دوره المحدد للفعل فهو يبقى القائد وبدون وجوده لا يمكن أن توجد أي صيرورة ولا يمكن أن تولد أي مؤسسة فهو يجمع بين الماضي والمستقبل والحاضر الذي يمثله. ثانيا الفعل المنجز للمنشأة وهو يولد كيانات اقتصادية واجتماعية لم تكن موجودة في السابق وبمجرد إنشائها تولد الثروات والخدمات. ثالثا روح المؤسسة أي القوى الثقافية والأخلاقية التي تبني اجتماعيا المبادرة فرديا أو جماعيا. رابعا يربطه بالحركة السياسية المشجعة والمحركة للفعل المقاولاتي الجماعي ومن هنا يتجسد الابتكار والتجديد الذي يقوده المقاول .

و"ريجي مورو (Régis, 2004, p. 421) يسير في نفس فلك "منقات" ويعتق النهج الصيروراتي ويحاول بنائه كطريق موحد للمقاربات ويطمح إلى تقديم نظرية موحدة عن الانبثاق المقاولاتي تجمع بين الفرد والمؤسسة والمحيط في نموذج صيروراتي معقد ومتراكم ومتداخل ومتقاطع متميز بالمنطق والعقلانية وغير مقصي لأي عنصر من العناصر المكونة للظاهرة بل حريص على دمجها في كليتها في سياق منظور تامي يعتبر الكل يساوي أكثر من مجموع عناصره أو أجزاءه بالإشارة إلى عنصر التفاعلات التي تحدث بين العناصر وهي تشكل العنصر المضاف الذي يجعل الكل يفوق مجموع عناصره.

و يقودنا إلي مقترحه المتميز المرتبط بـ "التنظيم الاجتماعي الجديد" المرتكز علي مفهومين : التنوع والتغير من أجل توصف المكتشف الحديث حول صيرورة انبثاق المؤسسات وأهم الملاحظات هو تنوع نماذج صيرورات الانبثاق التنظيماتي لـ "م.ت.ج" وعدم اتسامها بالثبات فهي ديناميكية تتغير مع الزمن ومع المجتمع، فالناس ومنطقهم وأهدافهم ووسائلهم التقنية والمالية ليس لها علاقة مع تلك التي كانت مع بداية القرن والأکید أنه سيكون نفس الشيء مع نهاية القرن، فأغلب النماذج الملاحظة اليوم لم تكن موجودة البارحة ولن تكون موجودة غدا (Régis, 2004, p. 423) : « (...) *La plupart des modèles observés aujourd'hui n'existaient pas hier et ne seront pas demain* ».

وهذا يعني أن الخاصية البارزة في انبثاق المؤسسات والمنظمات هي التغير واللا . ثبات، بالإضافة إلي التنوع في النماذج التي يمكن أن تنبثق مما يسير في اتجاه عدم وجود نموذج صيروراتي موحد للانبثاق فكل منها يمثل نموذجا استثنائيا لا يتماثل ولا يتجانس مع الآخر. و يتأسس من التقاء ديناميكيتين : فردية وجماعية، شخصية واجتماعية بينها دوما العامل الجماعي : (Régis, 2004, p. 424)

« *La nouvelle entreprise s'institue à la conjonction de deux dynamiques: individuelle et collective, personnelle et sociale, en tous les cas par un collectif* »

أولا "الجماعي" يسمح بحدوث الانتقال من المجرد إلي الملموس، من المشروع إلي الواقع ويبقي المنبثق يحتفظ بالأثر الواضح لهذا العامل الجماعي الذي أنتجه، فالمؤسسة المولودة تصنع بالطريقة التي من خلالها تصبح مطابقة لحثيات ووقائع شبكتها ومصالح الأعضاء التي دعمت بنائها، فهي ليست معطي طبيعي بل ظاهرة مبنية اجتماعيا من خلال تاريخ وممارسات هذا الجمعي (Régis, 2004, p. 424) :

« (...) *La nouvelle ENT n'est pas une donnée naturelle, mais un phénomène construit socialement à travers l'histoire et les pratiques du collectif* ».

و هو يتنبأ أيضا بالأشكال التي تتخذها المؤسسة لاحقا أو مستقبلا انطلاقا من معرفة لحظاتها الأولى، فهذه اللحظات هي منغرس وموسومة في البناء التنظيمي للمؤسسة وفي أذهان من يكونونها، فهذه البصمة البدائية تبقى مغروسة والتغير يمكن أن يحدث لكن بشرط وهو عدم خرق هذه البصمة أو تبديلها بأخرى جديدة تكون معارضة لها، لهذا معرفة شروط انبثاق المؤسسات هو ضروري لأنه يسمح بتفادي الكثير من الخسونة ومن الفجوات الكبيرة في المحرك، فالمؤسسات هي أبعد ما تكون ساكنة، فهناك هامش من العملية موجود لكن محدود، ومن أجل أن نعيش ونفهم الحاضر يجب الرجوع إلى التاريخ وملاحظة الأصول، فالشروط الأولية تلعب دورا مهما في دوام المؤسسة وتطورها اللاحق، ولهذا من الضروري التركيز علي اللحظات الأولى المولدة للمؤسسات عند رصد النماذج المقاولاتية من خلال التركيز علي المحرك وتقفي محطاتها باهتمام بالغ مما يساعد علي ترويض المشاكل والأخطار التي تهددها ويسمح بتوفير الحلول من أجل تأمين محركها وإدراك والتحكم في المتبقي من تاريخها.

وهو بهذا يتحدث عن "برنامج قوي لعلم اجتماع المقاولاتية" مبني علي أساس صيرورة تحويل مولدة ومحكومة من طرف فاعلين يستخدمون وسائل إنتاج ومواد أولية معينة من أجل الحصول علي الهدف المرصود (Régis, 2004, p. 425):

« (...) Il y a un processus de transformation généré et commandé par des acteurs, qui utilisent des moyens de production déterminés et des matières premières données pour obtenir un résultat défini. »

و من أجل أن تصل هذه الصيرورة إلي فائدة ملموسة يجب علي المقاول أن يطور ذكاء المبني علي دورة التبادل المقاولاتي لأن فهم كل مرحلة من هذا التبادل سيسمح بالتنظير الجيد لتسلسل الأفعال وتصويرها وجعلها أكثر فعالية، فالمعرفة التقنية غير كافية لإنشاء مؤسسة حيث يجب تطوير وتحريك وتعبئة كفاءات أخرى من أجل مواجهة مطالب الإقناع والبرهنة المقاولاتية، يجب أيضا معرفة التكيف مع العمومي من أجل الحصول علي المزيد من القرض المقاولاتي الممكن، ومن الضروري الوعي بان كل فعل إلا وله انعكاسات علي نهاية المشروع، فمن هذه الصيرورة يظهر كيان بمستوى من التعقيد يفوق ذلك الخاص بالعناصر المكونة له التي يشملها ويديرها مما يعبر عن النظرة التمامية أو "الكليانية" (Régis, 2004, p. 425):

« Du processus apparaît une entité d'un ordre de complexité supérieure à celui des éléments constitutifs (...) ».

فهذا الكيان يتضمن العناصر الأولية المكونة من الفاعلين والعلاقات التي نسجت بينهم وجزء من الاستراتيجية وبنية مزودة بدرجة من الاستقرار والديمومة وكل هذا يلخص في كلمة واحدة وهي حضور عملية "انبثاق"، لهذا نجده يدعو إلي ضرورة التركيز علي الانبثاق والشروط

المتحكم والمحددة له، وهو أصلا يطمح إلى إمكانية معرفة الطريقة التي من خلالها يمكن التحكم في انبثاق المؤسسات وخلق الشروط الملائمة لقدمها.

وبالتالي نلاحظ تميز هذا منظور فهو يرتقي إلى مستوى النموذج العام الذي يبحث في أصول المؤسسات والذي يجب أن يتخذ كمنطلق نظري أساسي في تأسيس وشرح المفاهيم المرتبطة بالصيرورة الماقاولاتية بالنسبة للأبحاث السوسيولوجية بسبب حدائته وما تضمنه محتواه القيم المتسم بالثراء والتنوع والمساعد على انفتاح الأذهان وتوسيع المجالات نحو سبل بحث جديدة مرتبطة بالحقل الماقاولاتي.

النتائج النظرية المستخلصة:

نحن نثمن مقارنة "مورو" عن صيرورة الانبثاق الماقاولاتي والأصل الاجتماعي المحدد لها ونلتزم بالمفاهيم والمصطلحات التي انطوت عليها ففي الواقع الممارس نستشعر الكثير منها مثل الزمن والتغير والفعل الاجتماعي والفاعل الجماعي والتعاقب في المراحل المكونة للصيرورة وسمّة التداخل والتعقيد والتقاطع مما يفرض علينا الاهتمام بالشروط الاولية المولدة للماقاولاتية وهذا لن يتأتى إلا بالتركيز على فترة الماضي من أجل تحليل الحاضر، أي يجب الاهتمام بمحرك الماقاول وإخضاعه للدراسة عندما لم يكن ماقاولا، فبروز الميل نعتبره في حد ذاته محطة مفصلية تميز الصيرورة قبل أن تنشأ المؤسسة فهي تسبقها زمنيا، فبداية الصيرورة لا تبدأ بمرحلة الانطلاق والانشاء ولا تقتزن بها زمنيا، وإنما تبدأ قبل ذلك، فهي مقترنة بميلاد التوجه وبزوغ "الميل" عند الفرد الذي يدفعه باتجاه فعل الإنشاء للمؤسسة من هنا يأتي التأكيد على مرحلة ما قبل الإنشاء، التي نضمها قسمين: ميلاد اليقظة أو الميل الماقاولاتي ومرحلة لتنمية هذه اليقظة، مع العلم أن هذا التقسيم يبقى نظريا دون إمكانية الفصل الدقيق بين المرحلتين حيث يتعذر الفصل بدقة بين العوامل التي تحدد اليقظة الماقاولاتية و بين عوامل تنميتها، ثم يأتي بعد ذلك التابع أو التعاقب الزمني لباقي مراحل الصيرورة (زاهية، 2013)، حيث تأتي مرحلة الإنشاء التي تتوسط مرحلة ما قبل الإنشاء ومرحلة ما بعد الإنشاء والتي تحدد فترتها من قبل المختصين بـ 03 سنوات وأحيانا بـ 05 سنوات ثم تأتي مرحلة ما بعد الإنشاء التي تمثل في الواقع مدى التطور الذي يمكن أن تكون قد حققتة أي منشأة في نموها، وهكذا نري أن نمط الصيرورة يركز على العوامل الاجتماعية المؤثرة في الفعل الإنشائي للمؤسسات وهي في الواقع تمثل الأوساط التي يعايشها الماقاول المحتمل وحوافزه الداخلية وضروري اعتماد البعد الاجتماعي المفسر لأصل الصيرورة الذي يرتبط

نظريا وميدانيا بزمان 0 وينطوي علي العوامل الاجتماعية المولدة للمقاول والمقاولة وهي أصلا مقترنة بأوساط مختلفة تمثل معاش المقاول المنشئ المحتمل .

عموما نرجو أن نكون قد ساهمنا ولو جزئيا في تفسير الاتجاه النظري الصيروراتي المرتكز لي الأصل الاجتماعي والمبني علي مبدأ اللا- تجانس واللا- تماثل في تأسيس هذه النماذج المقترحة التي تتسم بالتنوع والتعدد لاختلاف عملية تراكب وتناسق العناصر المكونة لها، فهناك من يغلب أهمية هذا البعد دون الآخر وحجم هذا العنصر دون الآخر، فهيكلة هذه النماذج تختلف من باحث إلي آخر ولا تعكس أي توافق حول نموذج موحد مفسر للصيرورات وقابل أن يستخدم ويطبق ميدانيا على جميع الأبحاث والدراسات دون أي صعوبات نظرية أو منهجية وهذا ما يفسر لجوئنا إلى استخدام صيغة الجمع بالإشارة إلى وجود نماذج متعددة ومتنوعة وغير متماثلة فليس هناك نموذج واحد قابل أن تنصهر وتندمج فيه كل النماذج لأن كل صيرورة إنما تمثل استثناء ولا يمكن لها أن تتماثل وتتجانس مع صيرورة أخرى، والمعاش المرتبط بأوساط المحيط يختلف في تأثيره وتفاعله المتبادل مع الفرد وتفاعل الفرد معه، فلا يمكن لهذه العملية التفاعلية المستمرة أن تحدث بنفس الكيفية بالنسبة للأفراد المختلفين أصلا في مكونات شخصياتهم وتفاعلاتهم فلا يوجد شخصية واحدة تتماثل مع الأخرى مما يقود حتما إلى إنتاج صيرورات وليس صيرورة واحدة موحدة فكلها تعبر عن استثناءات وهذا يعبر عن الواقع الطبيعي الذي تتسم به الظاهرة المقاولاتية.

*- خاتمة :

نستخلص حتمية الطابع الاجتماعي المميز لأصول المقاولاتية فمنحي الاتجاه النظري السوسيولوجي الكلاسيكي والمعاصر يعتبر فعل "إنشاء المؤسسة هو "فعل اجتماعي" بامتياز يجمع عدة محركين ويتم علي نمط الصيرورة" (Régis, 2004, p. 424) وإن كنا قد لجأنا إلي كل هذا التفصيل والتعمق بالنسبة لنموذج الصيرورة، فهذا راجع لأهميته في توضيح الأساس النظري والميداني للأصل الاجتماعي المعالج في مختلف النماذج الدراسية للموضوع، فموقعها ينطلق من التسليم بالنموذج الصيروراتي المعتقد للنظرة التمامية المتعددة الأبعاد الذي نحاول من خلاله تقديم فعل إنشاء مؤسسة علي أنه فعل صيروراتي ينطوي بالضرورة علي الابتكار والجديد وتتحكم في ميلاده وتنميته عدة عوامل مرتبطة بمختلف الأوساط التي يعايشها الفرد وفي نفس الوقت تحددها عدة حوافز نابعة من داخل هذا الفرد مما يجعل هذه الصيرورة تتضمن عدة فاعلين ومراحل زمنية، متعاقبة مفترضة، تبدأ بمرحلة ما قبل فعل الإنشاء الذي يتضمن مرحلتين متداخلتين : ميلاد اليقظة المقاولاتية ومرحلة تنميتها وتطورها

دون السعي إلى الفصل بينهما وبالتالي فهذا الفعل لا يتحدد بمرحلة الانطلاق الرسمي فهي تمثل المرحلة الثانية التي نسميها بمرحلة الإنشاء (أو الانطلاق) وبعدها تأتي مرحلة ما بعد الإنشاء التي ترتبط بالنمو والتطور كمحطة ثالثة في الصيرورة.

لكن ومع ذلك لا يجب أن ننسى أنه هذا المقول يبيّن اجتماعيا من طرف الأوساط التي يعايشها والمكونة لمجتمعه ولهذا فهو يؤكد نفسه كفاعل اجتماعي رئيسي محرك وحامل ديناميكيات اقتصادية واجتماعية وليس مقاولا بالوراثة يحمل جينات مقاولاتية مند ولادته، فالصيرورة المقاولاتية ليست هبة ولا منحة ولا أعطية ولكن هي عملية تبنى اجتماعيا حسب ما يذهب إليه المنظور السوسيولوجي عموما، فهذه الصيرورة تعمل على توظيف مختلف العوامل المؤثرة والمدرّكات المكتسبة والمعارف والدراية المتراكمة والتفاعلات التبادلية المحدثة والقواعد والقوانين والتشريعات المسنة من طرف النظام الحكومي والاجتماعي السائد وهي تجمع أيضا بين ذاكرة الماضي وأمال وطموحات المستقبل وحقائق واقع الحاضر بين الأنماط السابقة والتعلمات الجارية مما يوضح إلى أي مدى أن إنشاء المؤسسات هو فعل اجتماعي وجماعي وليس فردي يساهم في إنجازه عدة محركين اجتماعيين واقتصاديين ويتم على نمط الصيرورة وهؤلاء الفاعلين يكونون هذه الصيرورة، هذا ما يمثل المنحى المسيطر في السوسيولوجيا المقاولاتية.

قائمة المراجع:

- صلاح مصطفى الفوال، (1982)، معالم الفكر السوسيولوجي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة.
- Fayolle Alain, (1994) « La trajectoire de l'ingénieur entrepreneur », *Revue Française de Gestion*.
- Fayolle Alain, (2004) « Entrepreneuriat et processus : faire du processus un objet de recherche et mieux prendre en compte la dimension processus dans les recherches
- Gillet Anne, (2003) « Les entrepreneurs Algériens créateurs de petites entreprises: un groupe hétérogène entre logiques domestiques et logique économique capitaliste »,
- Guy Rocher, (1968), Introduction à la sociologie générale : le changement social, Editions H.M.H (318).
- Max Weber, traduit par Jacque chavy (1964), l'éthique protestante et esprit de capitalisme, , Editeur PRON, collection Recherches en sciences humaines, Pais, (341p).
- Jean-Pierre Durant, Robert Weil, (2006), Sociologie Contemporaine, Editeur Vigo, (815p).
- Moreau Régis, (2004) "L'émergence organisationnelle :le cas des entreprises de la nouvelle technologie ",
- REIX FABIEN, « Les fondements de l'éthique entrepreneuriale chez les créateurs d'entreprises »,
- Hernandez Emile-Michel. (2008) « L'entrepreneuriat comme processus d'émergence organisationnelle » *Revue Française de Gestion* (pp89-95).
- Alain Bridault, (1994) « Les déterminants sociaux de la création d'entreprises »,